
The Aesthetics of the Place in Al-Pansion Novel by Abdullah Alnuaimi

Shaima Al-Yammahi

U18105901@sharjah.ac.ae

Prof. Dr. Abdul Rahman Bouali - Professor of Criticism and Modern Literature at University of Sharjah - College of Arts, Humanities and Social Sciences - Department of Arabic Language and Literature

abouali@sharjah.ac.ae

Dr. Badeeah Al-Hashemi - Ph.D. in Literature and Modern Criticism at University of Sharjah - College of Arts, Humanities and Social Sciences - Department of Arabic Language and Literature

balhashemi@sharjah.ac.ae

DOI: <https://doi.org/10.31973/hzvpgm14>

Abstract

The presence of the place in the novel is not just a background for the events of the novel, it is an essential element in presenting the event and the characters, and an indispensable condition in any novel, whatever its topic, as there is no story without a place, and the story is not complete without a place that embraces it, and a space in which events develop and grow. Between the place and the rest of the elements (such as events, time, and characters) is a relationship of integration. We cannot drop one of them because of the importance of his presence in the story. who lives it; It is the first reference for man, as he clung to it and built his life through it, so he became of social, psychological and psychological dimensions . This study seeks to shed light on the aesthetics of the place in the novel The Pansion by the novelist Abdullah Al-Nuaimi, by following the analytical descriptive approach. The research begins with an introduction, followed by introducing the place and its definitions, then the types of place, followed by the analysis of the geographical place and standing on its indications, then the conclusion and the results of the research.

Keywords: (place - space - novel - open space - closed space)

جماليات المكان في رواية البانسيون للروائي عبدالله النعيمي

الباحثة شيماء اليماني
جامعة الشارقة - كلية الآداب والعلوم
الإنسانية والاجتماعية
قسم اللغة العربية وآدابها
U18105901@sharjah.ac.ae

الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بوعلي -
أستاذ الأدب والنقد الحديث في جامعة
الشارقة - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
والاجتماعية - قسم اللغة العربية وآدابها
abouali@sharjah.ac.ae

الدكتورة بديدة الهاشمي

أستاذ مساعد الأدب والنقد الحديث في جامعة الشارقة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

balhashemi@sharjah.ac.ae

(مُلخَصُ البَحْثِ)

إن حضور المكان في الرواية ليس مجرد خلفية لأحداث الرواية ، فهو عنصر أساس في تقديم الحدث، والشخصيات، وشرط لا يُستغنى عنه في أية رواية أيا كان موضوعها، فلا حكاية دون مكان يحتضنها، وحيزٍ تتطور فيه الأحداث وتنمو، فالعلاقة بين المكان وبقية العناصر (كالأحداث، والزمان، والشخصيات) هي علاقة تكامل، لا نستطيع إسقاط أحدها لأهمية وجوده في الحكاية، فالمكان عنصر ثابت في كل نص روائي لما له من دور في نحت الشخوص والتأثير في الأحداث، ويعد المكان الركيزة الأساسية التي يتعامل بها مع المحيط الذي يعيشه؛ فهو المرجعية الأولى للإنسان.

وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جمالية المكان في رواية البانسيون للروائي عبدالله النعيمي، باتباع المنهج الوصفي التحليلي. فيبدأ البحث بمقدمة نوضح فيها أهمية المكان وتعريفاته وأنواعه، يليها تحليل المكان في رواية البانسيون والوقوف على دلالاته، ثم الخاتمة ونتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: (المكان - الفضاء - رواية - المكان المفتوح - المكان المغلق - عبدالله النعيمي، البانسيون).

مقدمة:

وردت مفردة المكان في الفكر الإنساني قديماً وحديثاً؛ لذلك فهناك إدراك من الإنسان ووعي بأهميته وأثره، فإدراكه له مباشر وحسي، وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته، وتأسيس لهويته، فكل ما كان إحساسه بالمكان عميقاً أحس بأهمية وجوده؛ لأن وجوده في المكان مستمر طوال حياته، فيكتسب ذاته من خلال تفاعله مع المكان (زغرب، ٢٠٠٦، ص: ٩٥)، "فالمكان حاضن الوجود الإنساني وشرطه الرئيس، وأكثر متلازماته قابلية للتحويل واختزاله المفاهيم والاحتفاظ بعدد كبير من الحدود والتصورات، والمحمولات وشحنات الجمال، فالمكان قابل لزحم المسافة الهائلة القائمة بين أصغر مساحة يتخيلها الإنسان وأقصى ما يمكن أن يكون عليه الكون العظيم" (المحادين / ٢٠٠١، ص: ٢٠).

إن حياة الإنسان وتاريخه مرتبط بأمكنة ما، مختلفة هنا وهناك، وهذه الأمكنة في أساسها تاريخية، ولكن بعد تجاوزها وتجاوز تاريخيتها تصبح أمكنة نفسية وشعرية لها جمالياتها ورموزها ودلالاتها وارتباطاتها النفسية، ولها الأجواء المغناطيسية النفسية التي تتشكل حولها حين نكرها أو استعمالها (المحادين / ٢٠٠١، ص: ٢٤)، كما أنه في نظرتة إلى المكان يجد نفسه قد انخرط في برزخ من الخيال والبحث عن تفسير الأشياء، وحتى يكمل العلاقات غير المفسرة نراه وقد ابتدع الخرافات، ثم ارتقى قليلاً في تكييف العلاقة بينه وبين الموجودات في فعاليتها، فدخل عالم الأساطير التي ترتبط بالمكان ارتباطاً جوهرياً، "ولعل جمالية المكان هي الرموز المستمدة من هذه الطبيعة والمكان، فالشمس رمز القوة والضعف في الوقت نفسه" (النابلسي، ١٩٩٠، ص: ٣٥).

وما يميز المكان الروائي عن الجغرافي، في أننا بدراسة المكان الجغرافي لا نصل إلى أبعد من حقائقه الموضوعية، أما دراسة المكان الروائي نستطيع أن نستشف رؤية الروائي، وأفكاره، لذا يسهم المكان في خلق المعنى (قاسم ١٩٨٥، ص: ٢٠٣)، فالروائي لا يتعامل مع المجال المكاني بذاته أو لمجرد الضرورة، وإنما يتعامل معه باعتباره تصوراً لغوياً يشكل معادلاً حسياً ومعنوياً للمجال الشعوري والذهني للشخصية في موقف محدد (بدري، ١٩٨٦، ص: ٩٤). إن الأماكن والفضاءات التي تزخر بها الرواية تتوزع على فئات ذات تنوع كبير من حيث الوظيفة والدلالة، ونستطيع أن نميز بين أمكنة الإقامة وأمكنة الانتقال حتى نحصل على ثنائية ضدية سيتلوها ثنائيات وتقاطعات تابعة أو ملحقة. وصار باستطاعة الدارس أن يعثر مثلاً على تقاطب جديد ضمن أماكن الإقامة الاختيارية وأماكن الإقامة الجبرية (المنزل مقابل السجن)، وتقاطعات أخرى بين أماكن الإقامة الراقية والشعبية، وبين القديمة والجديدة، الضيقة والمتسعة وهكذا (بحراوي، ١٩٩٠، ص: ٤٠).

وتمثل أماكن الإقامة إن كانت اختيارية أو جبرية الأماكن المغلقة، أما أماكن الانتقال فتتمثل الأماكن المفتوحة، وأيا كانت الأماكن مغلقة أم مفتوحة فجميعها تحمل دلالات عميقة يريد الكاتب توضيحها في روايته، فالأفكار التي تشغل الكاتب نجدتها في أصغرها حجماً، وفي تفاصيل المكان والزوايا، فعندما يركز الكاتب على البحر مثلاً نستنتج بأن الشخصية الواقفة أمام البحر تحمل في أعماقها حزناً كبيراً لا يستطيع مشاركته مع أحد، ومن الممكن أن نتوصل إلى أن الشخصية ذات طباع هادئة وقليلة الكلام وهكذا، فالمكان جزء لا يتجزأ من عناصر الرواية وبدونه تغيب دلالات كثيرة.

المكان في رواية البانسيون

في رواية "البانسيون" تعددت الأمكنة ابتداءً من العنوان الذي تحمله حتى انتهائها في الطائرة، والمتفحص للرواية سيلاحظ أيضاً أن أبواب الرواية تحمل أسماءً بالأماكن التي تجري فيها الأحداث وتتطور، حتى تنوعت بين فضاءات مغلقة ومفتوحة؛ وظَّفها الكاتب بعناية لينقل للقارئ الأفكار التي يحملها على لسان الشخصيات. وينعكس أثر المكان وجمالياته على مجتمع الأشخاص وعوالمهم الداخلية فتتشكل لتكوّن رؤيتهم الخاصة بالعالم ومواقفهم من القضايا المحيطة، فالأماكن التي انتقاهم النعيمي في روايته تحمل أبعاداً دلالية وجمالية وأيدولوجية. وقد وظف الروائي المكان على أنه مكان حقيقي، فشيانغ ماي، وشوارعها، والبانسيون، وحديقة الأفيال، وغيرها من الأماكن التي وردت في الرواية، جميعها أماكن حقيقية وموجودة في شيانغ ماي، الأمر الذي منح الرواية مصداقية أكثر وكأن القارئ جزء من الحكاية، ويرى الأحداث كما لو أنها حقيقية. وتتوزع الأماكن في رواية "البانسيون" إلى الأماكن الآتية:

● الأماكن المغلقة، وقد تمثلت هذه الأماكن في رواية (البانسيون) في (الطائرة، السيارة، البانسيون، الغرفة، دار بيلارس، المستشفى، المطعم).

● الأماكن المفتوحة، وقد تمثلت هذه الأماكن في (الشارع، حديقة الأفيال).

وتختلف دلالة هذه الأماكن باختلاف شخصيات الرواية، فكل شخصية تحمل معها تجاربها الخاصة، وعوائلها النفسية والفكرية التي تجعل للمكان دلالات مختلفة من شخصية إلى أخرى، وسنقف أولاً عند أنماط المكان المغلق التي جاءت في الرواية، وهي:

١. الطائرة

الطائرة من الأماكن غير المستقرة، مكان متحرك، وغالبا ما يتم توظيفها لغرض فكري، سواء أكانت الطائرة أم السيارة أم السفينة، وبالتعمق في المكان المتحرك فإننا نستنتج أنه مكان اجتماعي يتيح لشخص لا رابطة بينهم سوى أنهم يقصدون المكان نفسه أن يتجمعوا فيه، وقد وظف النعيمي الطائرة لخدمة اللقاء الذي سيجمع بين وليد ونادين أهم شخصيات الرواية، وهنا سيصبح المكان طريقا للدخول للنفس وعوالمها (النصير، ٢٠١٠، ص ١١٥).

وللطائرة وقع خاص على نفس الإنسان بشكل عام، فالطائرة تعني السفر، والتنقل، والمتعة، والهروب، والهجرة، والاستجمام، والتجارة، وجميعها تحمل معانٍ إيجابية على النفس، كما أنها المكان الأول الذي ظهر في الرواية حيث كان لقاء بطل الرواية وليد مع نادين. والحقيقة أن الطائرة هي من الأماكن التي نستطيع أن نعدّها ملتقىً لجنسيات وثقافات مختلفة، من شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، حيث لا يتوقع الأشخاص الصدف واللقاءات التي قد يصنعها ركوب الطائرة، فكانت هي الملتقى الذي صنع الحكاية من بدايتها (انظر النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٠-١٧)، غير أن الحكاية بدأت بداية حزينة، على عكس المتوقع من أي راكب على متن الطائرة، فالسفر غالبا ما يكون مرتبطا بالفرح والمشاعر الإيجابية، ويمكن توقع المشاعر بناء على الوجهة التي يقصدها بطل الرواية، وهي "تايلند" التي تعد من البلدان المشهورة التي يقصدها السياح للترفيه عن النفس، والاستجمام وقضاء إجازة جميلة لاعتدال جوها وطبيعة الجزر المحيطة بها.

فتظهر نادين على متن الطائرة باكية حزينة شغلت حالتها ذهن وليد الجالس بقربها وهو يتلو القرآن الكريم، "ربتت على كفتها، لكن دون فائدة، مازالت تبكي، وما يزيدنا اقترابنا إلا نحيبا" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٠)، فاختلفت هنا صورة الطائرة الراسخة في الأذهان، وهي الصورة النمطية القابعة في أذهان أغلب من يفكر بالسفر والتنقل، فأصبح لهذا المكان معنى آخر ودلالة مختلفة وهو التعارف والمواساة، وتقديم المساعدة كذلك، فوليد يحاول إخراج الفتاة التي تجلس بجانبه من حالتها بالاستعانة بالمضيضة لتهدئتها، فنادين المسافرة تعيش حالة من الحزن والكآبة، لم تستطع إخفاءهما على الرغم من جلوسها بين أشخاص لا تعرفهم وفي مكان غير مناسب لإظهار تلك المشاعر بتلك القوة.

إن اختيار المؤلف الطائفة مكانا للتعرف بين أهم شخصيات الرواية، جاء بعناية ودقة، فالمسافرون غالبا ما يكونون في هدوء وسكينة حتى يصلوا إلى وجهتهم، فالحالة التي كانت عليها نادين حركت ما بداخل وليد من مشاعر العاطفة والرغبة في المساعدة، وامتدت هذه المشاعر إلى ما بعد الوصول، فرؤية وليد لنادين على تلك الحالة في الطائفة، جعله يقدم لها . لا إراديا . العون ، ولاسيما بعد معرفته بأنها وحيدة وذلك بعد أن طلبت منه العثور لها على مكان مناسب للسكن، "هل يمكنك مساعدتي في العثور على فندق مناسب" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٩).

٢. السيارة:

ظهرت السيارة في أكثر من موضع في الرواية، فجاءت تمثيلا للحالة الشعورية لشخص الرواية، ففي البداية مثلت شعور الخوف والقلق عند نادين، ففي طريق الذهاب إلى البانسيون برفقة وليد، كانت نادين صامتة بلا أي تعابير، يحكي وليد: " كانت نادين تتأمل الشارع بتركيز شديد دون أن تتضح على وجهها أي تعابير" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٢٢)، إن تركيزها الشديد في شوارع المدينة وسؤالها عن موعد الوصول ينم عن خوف من المجهول، فحالتها النفسية قبل وصولها إلى شيانغ ماي توحى بحاجتها للأمان، وهذا يتضح من خلال الثقة التي أعطتها لوليد والاطمئنان إليه بسرعة حتى اختار لها مكان إقامتها ومرافقته إلى البانسيون.

إن تركيز الراوي على التفاصيل الشعورية في السيارة كان أكثر وضوحا من تفاصيل المكان الذي يتوقع القارئ أن يجده بين ثنايا الرواية، فالسيارة هنا لم تُعرض تفاصيلها، كنوعها أو حجمها أو لونها، بل كان للشخصيات ومشاعرها النصيب الأكبر من الوصف، وفي موضع آخر يُظهر تساؤلاته أثناء جلوسه في السيارة والأسئلة التي يوجهها لنفسه حول علاقته بنادين، فمثل المكان هنا لحظة إدراك وليد لهذا القرب الذي جمعه بنادين، وإلى أين سيقوده، يقول:

- "هل كان حديث النادلة البارحة صحيحاً؟
- هل نادين أصبحت صديقتي؟
- هل كنت أنكر حينها حقيقة ماثلة أمام الجميع؟
- هل تدرك نادين طبيعة هذه العلاقة؟" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٥٧).

إن الأفق المفتوح الذي يمثله الشارع أو الطريق خصوصا عندما تطول مدة السير فيه، يجعلنا نفكر في أبعاد اللحظات التي عشناها، وإلى أين ستقودنا، فوليد الذي رحب بتقديم المساعدة لإنسانة بائسة يجد نفسه محاصرا بها ومعها، راغبا بها، ورافضا لها، يقول مستكملا تساؤلاته: "حزمة كبيرة من الأسئلة تزدهم في عقلي، وأنا أرى هذه الفاتنة تجلس إلى جوارى، وتمنحني ثقتها الكاملة، وكأنني ابن حارتها، وكأنها تعرفني منذ سنوات الطفولة والصبأ" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٥٧).

وبالانتقال إلى الباب الموسوم بـ(في طريق العودة) (انظر، النعيمي، ٢٠١٤، ص ٧٩)، فقد أفرد النعيمي لرصد اللحظة الشعورية واتخذها مكانا للتأمل والتفكير، في طريق العودة من مطعم **Imperial Mai Ping** الفاخر بعد وجبة عشاء جمعت نادين ووليد، ولم تكن كالوجبات السابقة التي جمعتهما معا في مطعم البانسيون، فنادين بكامل أناقتها وكذلك وليد، وكأنهما تواعدا على هذه اللحظة بعد طول غياب، يقول وليد محدثا نفسه وواصفا مشاعره: "رائحة عطرها تسكرني، تجرني إليها، تغرقني في بحرها، تقعدني القدرة على الصمود... إننا نقرب من بعضنا بسرعة جنونية، مسافات الأمان والخصوصية تضيق من تلقاء نفسها، الحدود بيننا تتلاشى كسحابات الصيف العابرة، هذه حقائق نعيش تفاصيلها الآن نراها بأعيننا، ونذكرها بمشاعرنا، ولا نملك حيالها شيئا" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٧٩)، فوليد في هذه اللحظات غارق في التفكير، تائه بين ما يجري أمامه وما يصارعه عقله، فكانت السيارة المكان الذي أظهر لنا الحيرة التي يكابدها وليد، الأمر الذي يقودنا إلى فهم أحد جوانب شخصية وليد، فالحيرة والتساؤلات التي تدور في رأسه دليل على تنبئه إلى خطورة الوضع بينه وبين نادين.

٣. البانسيون:

البانسيون من الأماكن الرئيسية التي دارت فيها الحكاية، ونستطيع أن نقول بأن جل أحداث الرواية حدثت فيه. ويعدُّ البانسيون فندق صغير يقطنه السواح والمسافرون في البلدان التي يقصدونها، وقد يمنح البانسيون السائح أو النزير نوعا من الحميمية والدفء لما يملكه من مواصفات قريبة من المنزل من غرفة خاصة منعزلة عن الآخرين، مكان يستريح فيه الإنسان ويجلس مع من يحب ويتسأنس معه، يرتاح ويريح عقله من الهموم التي قد تتقل كاهله، فهو الملجأ من الآلام والهموم، وهو الراحة من التعب الجسدي الذي قد يثقل جسد الإنسان.

ويظهر البانسيون في الرواية كمكان آخر يجمع بين وليد ونادين، وبين شخصيات الرواية الأخرى كابتهال وسارة اللتان ستأخذان حيزا لا يستهان به من الحكاية، وكأن هذا المكان القاسم المشترك بين شخصيات الرواية جميعها، فكان الملتقى لأفكار ورؤى، وموروثات مجتمعية مختلفة، وكأن الكاتب أراد بوليد -الشخصية المحورية- أن يكون الملجأ للظروف الاجتماعية والنفسية التي تمر بها كل شخصية، فكان يستمع ويناقش ويلاحظ تفاصيل الشخصيات من داخل جدران البانسيون وأروقته، يحلل ويستنتج حتى يجد التفسير الأمثل لكل قضية. وأرى أن النعيمي وُفق في اختيار البانسيون مكانا أساسا ليبنى فيه أحداث روايته، فهو المكان المناسب الذي تجتمع فيه هذه الثقافات المختلفة سواء أكانت هذه الاختلافات نابعة من اختلاف البيئة أم من اختلاف الفكر ورؤيا العالم.

إن المكان وعاء لأحداث وشخص لمجتمع معين بعلاقته الاجتماعية وعاداته وتقاليده وفنونه المعمارية لعصر وزمن معين، وبالتالي يصبح هو المسيطر على حركة الأشخاص واتجاه الأحداث (العلوي، ٢٠١٩)، لذا كان البانسيون هو المكان الأنسب لتقع فيه أحداث الرواية التي رسمها النعيمي بكل ما تحمله من أفكار وقضايا اجتماعية، فطبيعة المكان تجعله قابلا لاحتواء شخصيات تترسخ في أعماقها موروثات مجتمعية تتضارب وتتعارض في رؤيتها إلى العالم، فالبانسيون هو المكان الذي يتخذه الأشخاص سكنا مؤقتا لهم في سفرهم؛ لذلك تظهر شخصياتهم الحقيقية لتعبر عما بداخلهم دون رقابة المجتمع، وحصار العادات، فيستطيعون التصرف بحرية، والتعبير عن عوالمهم الداخلية بسرية حيث لا نجدهم يشبهون أنفسهم وهم في موطنهم، وأبعد ما يكونون عن نسخ الكربون المتشابهة التي يجدونها في مجتمعهم (النصير، ٢٠١٠، ص ١٧٦).

فأتاح البانسيون ما لم يتيح موطن الشخصيات، فوليد يتعامل بشكل مباشر وعلني مع ثلاثة نساء يقابلهن في البانسيون، وهذا الأمر قد لا يتاح له في موطنه بحكم العادات والتقاليد (انظر النعيمي، ٢٠١٤، ص ١١١٩٩١٢٩)، كذلك نادين التي تحاول الهروب من مشاكلها ومعاناتها، فتستغل وجودها في البانسيون لتسهر في الحانة وتشرب الخمر (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٣٩-٤٠)، وهذا التصرف من المحظورات في الدين وكذلك التقاليد المجتمعية، ولو كانت في موطنها لن تستطيع الإقدام على هذا الفعل. أما سارة، فلم تمنع مشاعرها تجاه وليد من الظهور، فكان البانسيون موطن اللقاء بينهما، فأخذت تراقبه، وتعاتبه وكان بينهما علاقة سابقة، تقول مجيبة عن استفسار وليد عندما صدم من علمها باسمه:

- "وكيف عرفتني اسمي؟"
 - لقد أخبرتني به ناتاشا، موظفة الاستقبال في البانسيون.
 - وما المناسبة؟
 - أنا سألتها.
 - لماذا؟
 - لا أدري، هي مجرد رغبة في الاقتراب منك. " (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١١٦)
- وعندما سنحت لها الفرصة للتحدث إليه باغتنه باستفسارها عن المرأة التي رافقته في أول أيامه في البانسيون، وكانت تقصد نادين، بقولها: "من تلك الفتاة التي كنت تتناول عشاءك معها في الليلة قبل الماضية؟" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١١٨)، وفي موقف آخر لها يسرد وليد ردة فعلها عندما شاهدته يجلس مع نادين عند حوض السباحة: "رمتني بنظرة فيها الكثير من الاستياء والتحفظ، وأعتقد أنها تعمدت أن تريني نفسها، وأعتقد أيضا بأنها كانت تراقبني" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٢٠٩).
٤. الغرفة:

تعدُّ الغرف غطاء الإنسان، يدخلها فيخلع جزءا من ملابسه، ويدخلها ليرتدي جزءا آخر، وعندما يألفها يتحرك بحرية أكثر، وإذا ما اطمأن بدأ بالتعري فيها، التعري الجسدي والفكري، وما إن يخرج منها حتى يعيد تماسكه؛ ليبدو كما لو أنه خرج من تحت غطاء خاص (النصير، ٢٠١٠، ص ٩٧). وركزت أحداث البانسيون على غرفة البطل وليد في أكثر من موضع، حتى أننا نجد الكاتب وقد أفرد باباً خاصاً جاء تحت عنوان (في الغرفة) (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٢٧)، ولكن الراوي لم يُسرف في وصف غرفة وليد ولم يتطرق إلى تفاصيلها مثلما نجد ذلك في روايات أخرى، ولم تتكرر بالطريقة التي يتوقعها الملتقي بل اكتفى بذكرها من خلال عرض التفاصيل اليومية لوجود وليد في البانسيون؛ ولكنها كانت المكان الذي وظفه الكاتب لرسم العقدة ولحظة التأزم في الرواية لشدة خصوصية هذا المكان الذي من شأنه أن يخلق مشكلة عند محاولة اختراق خصوصيته.

ولم يكن اختيار الكاتب لغرفة وليد اختياراً اعتباطياً لرسم العقدة، ولحظة التوتر بين وليد ونادين، يسرد وليد واصفاً موقع غرفته في البانسيون: "كنت أقيم في الغرفة رقم ٥٠١٦، فيما تقيم هي في الغرفة ٥٠١٨، أما الغرفة رقم ٥٠١٧ فكانت تقع في الجهة المقابلة لغرفتي، ولا تفصل بينهما أبداً" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٨٤)، وفي هذا المقطع وصف الراوي موقع الغرفتين، في حين أن هذا الوصف قد يعطي توقعات مبدئية عن العلاقة التي ستربط بين وليد ونادين، فللهولة الأولى يخيل للقارئ أن العلاقة ستتوطد وتتطور، حيث إن جميع المعطيات من بداية الرواية حتى هذه اللحظة توحى بهذا التوقع، فمساعدة وليد لنادين،

ومرافقتها إلى البانسيون، وتناولهم الطعام والخروج للتعرف على شيانغ ماي معاً، جميعها توجي بمستقبل لبناء علاقة بينهما. وهنا توظيف واضح للمفارقة (قاسم، ١٩٨٢، ص ١٤٤) التي قدمت لنا بداية أحداثاً توهم القارئ بفكرة معينة ثم ما لبثت هذه الفكرة وتلاشت بعد ما حدث في غرفة وليد: "بعد خروجنا من المصعد توقفت نادين عند باب غرفتي، وطلبت مني شيئاً لم أتوقعه، ولم أعرف كيف أتصرف حياله.

- وليد؟

- نعم؟

- لدي فضول كبير للاطلاع على غرفتك من الداخل.

- إنها مثل غرفتك بالضبط، لا تختلف عنها في شيء.

- أعلم ذلك، ولكنني أرغب في استكشاف خصوصياتك، أريد الاطلاع على عشوائيتك، لا أريدك أن تدخل قبلي لتعيد ترتيبها، أريد أن أراها على طبيعتها بأغراضك الشخصية المبعثرة فيها" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٨٤-٩٤).

إن وصف وليد لطلب نادين، بغير المتوقع، ولم يعلم وقتها كيف يتصرف حياله، هو دليل على الخطوط الحمراء التي يضعها وليد لنفسه تجاه الآخرين، فنادين التي لازمتها منذ وصولهما إلى البانسيون، لم تكن ممن يسمح لهم بالدخول إليها، فكانت الغرفة بداية الأزمة بينهما، كما كانت الوسيلة التي اتخذها وليد كي يفصح عن حقيقة مشاعره تجاه نادين. يقول وليد، بعد أن اندفعت نادين إلى غرفته وبدأت بالعبث بأغراضه:

"توجهت إلى خزانة ملابسني، وبلهجة واثقة سألتني: هل تسمح لي بفتحها؟

- أحببتها محتدأً: لا طبعاً!

تغيرت ملامحها، وبنبرة فيها الكثير من الدهول سألتني:

- لماذا؟

- أحببتها مستغرباً: الطلب بحد ذاته غير لائق يا نادين، مثلما وجودك الآن في غرفتي أمراً

أراه غير لائق أيضاً" (النعيمي، ٢٠١٤، ص: ٨٧/٨٦).

وهنا تتضح الصورة بشكل أكبر، فوليد لم يكن فقط رافضاً لدخولها إلى غرفته بل رفض طلبها بفتح خزائنه، فالخزانة برفوفها كما وصفها باشلار، هي أدوات حقيقة لحياتنا النفسية الخفية، فالخزانة ليست مجرد قطعة عادية من الأثاث، فهي لا تفتح في أي وقت، كالقلب الذي لا يبوح بأسراره لأي إنسان ومفتاحها لا يوجد في بابها دائماً، فهي مساحة غير متاحة للجميع (باشلار، ١٩٨٤، ص ٩٢)، ونادين بفعاليتها حاولت اقتحام حياة وليد المقلبة التي رسمها لنفسه، فدائماً ما نراه متحفظاً في كلامه وفي إجاباته، لتبدأ بعدها الحرب الكلامية بين الطرفين، حتى قال وليد: "أنا أحترمك، أرتاح للحوار معك، أشعر بالتعاطف نحوك، لكن مشاعري باتجاه فتاة أخرى تنتظرني في بلدي" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٩٠).

فكانت الغرفة هي المكان الأمثل لوضع النقاط على الحروف بين وليد ونادين، فمنعها من الاقتراب من خصوصياته كفيل أن يوضح لها مشاعره تجاهها، وحتى وإن لم يوضح ذلك بالكلمات، فالأفعال لها قدرة كبيرة على الإفصاح عن المشاعر وما يختلج في القلب والعقل دون الحاجة للاستعانة بالكلمات.

٥. دار بيلارس:

ظهرت دار بيلارس كأحد الأماكن المغلقة التي وردت في الرواية، بعد أزمة وليد ونادين، فشعر وليد بالوحدة بعد أن كانت نادين تملأ أوقاته سواء بتناولهما وجبات الطعام معاً، أو خروجهما للتنزه والتعرف على شيانغ ماي، فيعبر وليد بذلك بقوله: " مؤلم جداً أن تستيقظ على هدوء مريب، غريب، قاتل، لم تعتد عليه، خصوصاً بعد رحيل امرأة كانت تملأ حياتك صخباً وضجيجاً" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٩٥).

إن رحلة وليد إلى شيانغ ماي لم تكن مرتبطة بنادين، ولم يكن ظهورها مرتباً له، ولكنه أضاف نوعاً من السعادة إلى حياته وإن كانت مؤقتة، فهذا هو يبحث الآن عما يشغل وقته حتى تتقضي فترة سفره القصيرة، فيبدأ البحث عن أنشطة تشغل وقته؛ ليبدد الملل الذي يعيشه في هذه اللحظة، فيقرر الذهاب إلى دار بيلارس بعد أن قام قسم الاستقبال في البانسيون باقتراح بعض الفعاليات المقامة في شيانغ ماي والقريبة من البانسيون، فوقع اختيار وليد على حضور فعالية رقص التانغو (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٦٢) المقامة في دار بيلارس. كانت التعليقات التي وصفت دار بيلارس في البداية محببة، إذ وُصفت ببعض الصفات التي من شأنها أن تبعد وليد عن المكان، ومنها:

- مستبعد أن تنفذ تذاكر حفل التانغو.
- غالبية الحضور متقدمين في العمر.
- سقيمة ومملة، تناسب العجائز والمسنين.

فتظهر دار بيلارس هنا لتنتقل للقارئ ما طال المجتمع من تغيير من الناحية الفكرية، فقد اختلف الإنسان اليوم عما كان عليه في أزمنة سابقة، فأصبح الفن الراقي، والعروض الهادفة التي تستهدف العقل قبل الروح دلالة على التخلف عن الركب الجديد، إذ أصبح متقدمي السن فقط والذين عاصروا تلك الأزمنة من يحرص على حضور هذا النوع من الأمسيات. وهنا مقارنة لجيل اليوم بالجيل السابق، فوليد الذي يقرر الذهاب لحضور عرض رقص التانغو و يرفض العروض الصاخبة التي تقام في الحانات والمراقص، ويفضل حضور برنامج أكثر رقياً، يقول مستفسراً من موظفة الاستقبال:

- "هل توجد أنشطة فنية يمكنني حضورها الآن؟
- بالتأكيد سيدي، توجد لدينا حفلة رقص صاخبة هذا المساء، تبدأ بعد ساعة من الآن، وتستمر حتى الساعات الأولى من الفجر، وتشارك فيها راقصات عربيات يزرن شيانغ ماي لأول مرة.
- لا لا، لا أقصد برامج من هذا النوع، أريد شيئاً أرقى، وأكثر تهذيباً" (النعمي، ٢٠١٤، ص ١٥٩).

وهناك صورة أخرى يحملها ظهور دار بيلارس، فبالإضافة إلى أنها مكان يوضح صورة المجتمع الحالي والتطور الذي أبعدهم عن تذوق الفن والإبداع الراقي الذي يمثل الحضارات، هناك الصورة السلبية للمكان، فالمتلقي يستطيع أن يلحظ أن هناك قاسم مشترك يجمع بين وليد والحضور الذين ظهروا في الرواية، فهناك الرجل السمين الذي يجلس إلى جانب وليد والذي يعيش وحيدا مع كلبه بعد الشتات الذي سببته الحرب، وهناك المرأة الأربعينية التي تركت زوجها ثأراً لكرامتها، وأخيراً وليد الذي يحاول نسيان نادين، جميعهم اجتمعوا في هذا المكان في محاولة منهم لنسيان همومهم على خطوات رقصة التانغو التي ابتكرها مهاجرون في حي فقير على أنغام آلات بسيطة، فرقصة التانغو ودار بيلارس في حزن أيضا كحزن هؤلاء الثلاثة.

٦. مستشفى رام:

وقد رسم الكاتب اللقاء بين سارة ووليد بطريقة منطقية، فالمواصفات التي تحملها سارة رُسم لها اللقاء بوليد في مكان يخدم حالتها الاجتماعية، فهي امرأة خليجية متزوجة من رجل ثري، مسافرة معه وأطفالها الثلاثة إلى شيانغ ماي بغية الاستجمام، يقابلها وليد في بهو البناسيون حاملة طفلها المريض لتطلب منه المساعدة بقولها:

- "هل ستساعدني؟
- فأنا غريبة هنا، ولا أقوى على اتخاذ أي قرار.
- بكل تأكيد" (النعمي، ٢٠١٤، ص ١١٢).

المستشفى مكان يقصده المرضى للعلاج، أيا كان موطنهم ومرضهم، وهذا ما يجعل حركته مستمرة بصفته مكانا للانتقال، قابع في مكان خاص حيث الهدوء والسكينة؛ لأنه وجد لراحة الإنسان و تطيبه مما يعانيه، فهو المكان الذي ينتهي إليه كل مريض، ووسيلته للانتقال إلى حال أفضل (حبيلة، ٢٠١٠، ص ٢٣٨).

جاء توظيف المستشفى في هذه اللحظة لخدمة اللقاء الذي جمع بين وليد وسارة بالرغم من أن الظاهر هو إسعاف ابنها المريض الذي يعاني من ارتفاع في درجة الحرارة. فبالنظر إلى حال سارة التي كانت واقفة أمام مدخل البانسيون تبحث عن يساعدها، يقول وليد "عند مدخل البانسيون كانت تقف مضطربة، حاملة طفلها على كتفها، وتذرع المكان ذهاباً وجيئة" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١١١)، واضطرابها ناجم عن قلة حيلتها في هذه اللحظة، إلى جانب إحساسها بالوحدة في هذه الغربية، فالمساعدة التي قدمها وليد لها كانت علاجاً نفسياً لها. وتتضح جمالية المكان هنا في كونه الفسحة، والملاذ الذي تهرب إليه سارة جزاء صراعاتها النفسية، وتخبئها بين زوج هائم طيلة الليالي في مدن تايلاند، وبين قناعاتها الخاصة كأنثى شرقية؛ امرأة شرقية متزوجة تحمل معها في سفرها عادات مجتمعتها وتقاليده، لن تُقدم على التحدث وبلا قيود إلى من تشعر بالارتياح إليه متى أرادت وكيفما شاءت، وأظن أن الكاتب كان موقفاً في بناء الحدث والمكان حيث تناسب مع الوضع الاجتماعي للشخصيات؛ وذلك لأن وليد يتشارك سارة العادات والتقاليد ذاتها فلن يسمح لنفسه أن يقترب من أنثى متزوجة في مكان لوحدهما أو مكان غير مناسب، وهذا ما اتضح في تصرفه عندما دعت سارة لتناول وجبة العشاء في المطعم بعد اطمئنانها على الطفل وخروجه من المستشفى. يجيب في ذهول من طلبها: "لا يبدو الأمر لائقاً يا سارة، فأنت سيدة متزوجة، ولا أعتقد بأن زوجك سيقبل بهذا؟" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٢١).

إحساس الوحدة جعلها تتعلق بوليد عن طريق مراقبته دائماً، فهي تعرف اسمه بالرغم من أنها لم تتعرف عليه قبل هذه اللحظة، ولاحظت نادين التي كانت برفقته طوال الأيام السابقة، وفي ذلك يقول وليد: "لقد نطقت باسمي دون أن أخبرها به، ودون أن تقرأه من أي وثيقة أو إثبات شخصية" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١١٥)، إن شعور وليد في هذه اللحظة هو شعور المتلقي أيضاً الذي يتابع الأحداث من وراء الكلمات، فسارة ليس لها ظهور فعلي قبل هذا الحدث، وتركيزها الشديد في تفاصيل حركة وليد في البانسيون لا يوحى إلا بالفراغ والوحدة بالرغم من وجود أطفالها حولها، تسأل وتستفسر عن علاقته بنادين، منتبهة للقرب الذي كان بينهما، وطريقة أحاديثهما، همساتهما، تقول في محاولة منها لفهم طبيعة العلاقة التي تجمعهما: "من تلك الفتاة التي كنت تتناول عشاءك معها قبل الليلة الماضية؟" وقولها "من يراكما يعتقد بأن علاقتهما أعمق من ذلك بكثير" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١١٨-١١٩).

كان مرض ابنها وأخذه إلى المستشفى بمثابة فرصة انتظرتها سارة لتتعرف على وليد أكثر وتتحدث إليه، فالجانب الذي رآه وليد وهم هناك ينتظرون أن تتحسن حالة الطفل، يختلف عن الشخصية التي توقعها، فبدت كاشفة عن وجهها غير أبهة بالنقاب التي ظهرت به قبل وصولهم إلى المستشفى، غير مكترثة لشعرها الذي بدأ يظهر من تحت غطاء رأسها، كثيرة الكلام. ويصفها وليد: "في طريق العودة كان الوضع مختلفا للغاية، فسارة مبتسمة، مشرقة، لا تكف عن الثثرة، وجهها لا يزال مكشوفاً، وغطاء رأسها ملقي بإهمال على كتفيها، لم تخجل مني ولم تبالغ في شكري، بدت وكأنها تعرفني منذ زمن" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٢١)، فوظيفة مستشفى رام في الرواية لم تكن فقط لعلاج ابن سارة، وإنما لعلاج سارة التي بدت بحالة أفضل بعد أن ذهبت للمستشفى برفقة وليد، فكانت حبيسة ذلك البانسيون برفقة أولادها وزوج شبه غائب.

٧. المطعم:

من المعروف أن المطعم هو أحد الأماكن الاجتماعية التي توفر للناس الجو المناسب للقاءاتهم الاجتماعية والعملية والعاطفية كذلك، فبعيدا عن الروتين اليومي لتناول الوجبات، يقصد الناس المطاعم بقصد التغيير الذي بدوره يحسن المزاج، ويشجع على الترفيه وقضاء وقت ممتع. وظهر المطعم في الرواية بصورته الطبيعية مكانا لتناول الطعام، بالإضافة إلى أنه ظهر بوظيفة أخرى ليست جديدة ولكنها تخدم الحكاية التي رسمها الكاتب. وتتعدد أماكن المطاعم في الرواية. فمنها:

١. مطعم الحديقة:

كان الظهور الأول لهذا المطعم عند التاسعة مساء بعد أن وصل كلٌّ من وليد ونادين إلى البانسيون، ووصف بمطعم الحديقة كونه يطل على حديقة البانسيون. تقول نادين: "الإطلالة جميلة جدا، أجمل مما توقعت" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٢٩)، وهذا الموقع تحديدا يخدم هذا اللقاء الذي يجمع وليد بنادين على طاولة واحدة، بعد أن كانا معا في الطائرة، فتعرف عليها أكثر، واقترب منها أكثر، فقبل هذا اللقاء لم يكن يعرف سوى أن اسمها نادين، تستقل الطائرة نفسها التي تقلهم إلى شيانغ ماي، حيث أفصحت في هذا العشاء عن عمرها، وحالتها الاجتماعية، وكذلك وليد، فاتضح أن نادين تكبره بثمانية أعوام، ومنفصله عن زوجها، أما وليد فهو أعزب.

ولا يخفى على القارئ الإعجاب الذي ظهر على وليد، فقال رداً على نادين التي أعجبت بالمكان والإطلالة: "ربما لأنها تجمع بين الماء والخضرة والوجه الحسن" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٢٩) وقالها مؤكداً على أنها الوجه الحسن الذي قصده "فأنتِ الأجل هنا دون منازع" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٢٩-٣٠)، فانطلقت في هذه اللحظة الشرارة الأولى التي هيجت مشاعر نادين التي تحاول إخفاءها بعد انفصالها عن زوجها والتي ستكون في مستقبل الرواية سبباً في إثارة الأزمة بينهما.

وتكرر حضور مطعم الحديقة في موضع آخر من الرواية، ولكن في زمن ووضوح مختلفين عن ظهوره الأول، فكانت وظيفته في هذه اللحظة خلق مواجهة حادة بين وليد ونادين، على عكس وظيفته السابقة، فوليد في هذه اللحظة يتحاشى الجلوس معها، لكنها بادرت بالجلوس معه ومواجهته في عدم تقديم المساعدة لها في تلك الليلة التي أسرفت فيها بالشرب حد الثمالة، فبدأ النقاش من سؤال وجهته نادين لوليد قائلة: "هل أخبرتك النادلة بأنني كنت في أمس الحاجة إليك؟" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٤٧)، ليتطور النقاش ويكشف لنا شخصيتين متناقضتين تماماً، فوليد شخصية محافظة أما نادين فهي متحررة ولا ترضى بالرضوخ للعادات والتقاليد، فأسهم المطعم في هذا المشهد في كشف المكون من هاتين الشخصيتين، كما يكشف المطعم هنا عن طبيعة النزلاء في هذا الباناسيون، حيث يتضح أن الجنسية الخليجية لها حضور قوي في شيانغ ماي، يقول وليد بعد أن استأذن النادلة بتشغيل أغنية لفيروز: "لغنت الأغنية انتباه السائحات الخليجيات في المطعم، فبدأت أنظرن تنجبه إلى مصدر الأغنية" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٤٤).

٢. مطعم كوستا:

كما وظف الكاتب مطعم كوستا الشهير والذي يعدّ أحد أشهر المطاعم التي تنتشر أفرعها في كل دول العالم، واختاره ليكون المحطة الثانية لإكمال النقاش الذي احتد من جانب نادين طالبةً من وليد تفسير تمنّعه عن مساعدتها في تلك الليلة التي أسرفت فيها بالشرب، فكان اختيار هذا المكان موقفاً لطبيعة الموقف، فعندما كانا في مطعم الحديقة الذي يعج بالسائحات الخليجيات، لم يشعر وليد بالراحة بسبب النظرات التي كانت موجهة نحوهما، ففضل وليد الصعود إلى الدور الثاني لإكمال نقاشهما في كوستا. يقول: ازدادت الأنظار المحدقة بنا، فأثرت الانسحاب من الموقف بأكمله، ولكن نادين لها رأي آخر وأصررت على استكمال حديثنا، فطلبت منها الانتقال إلى الطابق الثاني، فمعظم رواد ذلك المقهى من الأوروبيين والأمريكان والاستراليين" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٥١)، وتزداد شخصية نادين وضوحاً في هذا الموقف، فهي لا تأبه بالمحيطين بها، ولا تكثرث لما سيقولونه عنها، فهي متحررة

تحمل قناعاتها الخاصة بعيدا عن الأعراف السائدة، على عكس وليد الذي فضل الانتقال إلى مكان آخر حتى لا يلفت الانتباه إليهما.

٣. مطعم Imperial Mai Ping

يعد أحد المطاعم الفاخرة في شيانغ ماي التابع لفندق امبريال ماي بينغ، ونلاحظ أن النعيمي استخدم المطعم لسبر أغوار الشخصيات الأساسية في الرواية، فبالتركيز على شخصية نادين نراها تتطور وتتكشف أكثر فأكثر من خلال جلوسها في أكثر من مطعم برفقة وليد، وكذلك شخصية وليد، ففي كل موقف له مع نادين يتضح لنا جانب جدي من شخصيته، يحدث وليد نادين بقوله: "كل شيء فيك جميل اليوم، مكياجك، تسريحة شعرك، فستانك، عطرك، قلاطك، حذاؤك، حقيبتك" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٧١)، وقوله أيضا: "أنا آسف من أجلك نادين، وتستطيعين الاعتذار عن الرحلة إن شئت، فسلامتك أهم" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٧٣) وللمرة الثانية يبدي وليد إعجاب به نادين علناً وخوفه عليها أيضا، وبلا تردد، وبدون إدراك للطريقة التي ستستقبل بها نادين إطراره عليها، فإن تغيير المكان والحرص على انتقاء أفخم الأماكن لتناول وجبة العشاء بين اثنتين قد تعزفا على بعضهما منذ فترة بسيطة له دلالات خاصة، واعتناء نادين ووليد بمظهرها بشكل مترف دليل على أهمية هذه اللحظة. يقول وليد: "في تمام الساعة التاسعة مساء، كنا نجلس سوياً في مطعم Imperial Mae Ping الفاخر، كانت نادين في كامل أناقتها، ولأول مرة ألحظ أحمر الشفاه القاني يلون شفثيها" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٧١)، إن قارئ الرواية سيبنى أفكارا وتوقعات بعد هذا المشهد، عشاء في مطعم فاخر، أناقتهما التي تلفت الأنظار، حالة وليد بعد أن فتن بأناقة نادين، جميعها توحى بنهاية عاطفية سعيدة.

تقول نادين معلقة على حقيبتها:

- "إنها من (هيرمس) لقد اشتريتها من سيام ديفسكري في بانكوك.
- كنت أعتقد أن منتجات هذه الماركة تفوق قدراتك المالية!
- يا له من اعتقاد أحرق، انتبه يا وليد فأنت تجلس الآن مع مصرفية مرموقة، تترأس قطاعاً يعمل فيه أكثر من ٣٠ موظفاً" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٧٢).

فكشفت لنا هذا المكان مجموعة من المعلومات الجديدة عن شخصية نادين، فنادين لم تبد كما توقعها وليد، بل إنسانة ذات مكانة علمية مرموقة، وكانت قد أجهزت جنينها قبل شهر، و منفصلة عن زوجها لكن ليس بشكل نهائي (انظر النعيمي، ٢٠١٤، ص ٧٣)، أما وليد فحتى هذه اللحظة لم تتضح معالمه ونواياه الداخلية بالنسبة لنادين، فظل غامضاً في نظرها.

٤. مطعم العم خليل:

مثّل هذا المطعم حلقة الوصل بين وليد حالياً (زمن الرواية) و وليد قبل ثلاث سنوات، حيث قدمت الرواية بعض المواقف التي تبين أن لوليد زيارات سابقة لشيانغ ماي، فمعرفة وليد شيانغ ماي يرجع لزيارات سابقة لهذا المكان، ومطعم العم خليل كان من أهم المطاعم التي رسخت في ذاكرة وليد، يقول وليد عن العم خليل صاحب المطعم: "معرفتي به تعود إلى زيارتي الأولى لشيانغ ماي، وكان يقف ظهيرة كل يوم أسفل فندقنا يتربص مرور أي سائح عربي ليعطيه نسخة من قائمة وجباته، في تلك الفترة كانت المدينة تفتقر لوجود المطاعم العربية، وكانت البدائل المتاحة أمامنا تقتصر على المطاعم الهندية والباكستانية، لذلك وجدنا في مطعمه الجديد البديل الأفضل لها، وأصبحنا نزوره يومياً بمعدل مرتين على الأقل" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ١٠١١٠٠).

مثّل مطعم العم خليل المكان الذي التقى فيه وليد بإحدى الشخصيات الرئيسية في الرواية وهي ابتهاج، وتمثل ابتهاج ذكريات الزمن الماضي التي عاشها وليد في هذا المكان، وكما حرص الكاتب على رسم الأماكن السابقة بدقة، جاء رسم المكان الذي قضى فيه وليد بعضاً من الوقت في زمن سابق بشكل دقيق، ويستطيع المتلقي أن يستنبط تلك الدقة من خلال الحدث الذي جمع بين وليد و ابتهاج، فابتهاج هي ابنة صاحب المطعم، كانت تعمل مع والدها وتساعده في تلك الفترة التي رآها وليد لأول مرة، فنشأت بينهما علاقة صداقة في ذلك المكان الذي يلجأ إليه وليد وأسرته، إذ يوفر لهم المأكولات العربية التي يبحثون عنها، فمطعم العم خليل من الأماكن التي تعكس الحنين والذكرى الجميلة التي يحملها وليد لشيانغ ماي، كما أسهم المكان في ظهور شخصيات لها تأثيرها العميق في هذه الحكاية.

أنماط المكان المفتوح:

١. حديقة الأفيال:

دائماً ما نقصد حدائق الحيوانات بشكل عام للتنزه والمرح والتعرف على الحيوانات عن قرب، ولشهرة الدول الآسيوية بأفيالها أوجدوا لها حدائق خاصة، وفي الرواية ظهرت حديقة الأفيال كأحد الأماكن الترفيهية التي زارتها نادين برفقة وليد. وكان لحديقة الأفيال الوظيفة ذاتها التي أسندت للشارع، ولكنها بمعان ودلالات مختلفة، فالشارع كان بمثابة مكان لإثارة التساؤلات الداخلية والخوف والقلق من القادم المجهول، بخلاف ما حملته حديقة الأفيال، حيث أثارت شعور الطمأنينة والراحة والأمان في نفس نادين، يقول وليد: "ارتعبت نادين من ضخامة الأفيال ومن أصواتها العالية، وكانت تتوارى خلفي كلما اقترب أحدهم منها، في هذه اللحظة بدأت أشعر بشيء من الحميمية تجاهها، شيء أصبح يربطني بها، شيء يمنحها الطمأنينة بالقرب مني، ويمنحني أنا السعادة مقابل ذلك" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٥٨١٥٧).

فاجتمعت عوامل عديدة تقربهما من بعضهما وتثير شعور الأمان لدى نادين، والسعادة لدى وليد، فوجود الحديقة، والأفيال، والطبيعة والجو الماطر، جميعها أسهمت في خلق جو السعادة الذي شأنه أن يحسن من نفسية نادين المتعبة، ويكسر الملل في جدول وليد الذي جاء فقط للقاء الدكتور ساراويوت. الأهم من ذلك نادين، فهي كانت بحاجة شديدة إلى هذا النوع من النزاهات، فحالتها التي جاءت بها إلى شيانغ ماي لم تكن لتسعد بها وهي مسافرة. يقول وليد في تحسن مزاجها وهي معه على ظهر الفيل: "رأيتها تنظر إلي وشعرها الأسود المبلل ينسدل على أكتافها البيضاء، كانت سعيدة جداً، منطلقة، مشرقة وناضجة بالحياة" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٥٨)، فكانت الحديقة بمثابة المحطة الأولى في تغيير حالتها السيئة والاستعداد للبدء من جديد، فدائماً ما يجلب نزول المطر الخير والبركة، وتغيير الأرض القاحلة إلى أرض خصبة مروية.

٢. الشارع:

وهو من أهم الأماكن المفتوحة في الروايات عموماً، لما يمنحه للشخصيات من حرية الحركة والتنقل، تفتح عليه الأبواب وتتحرك من خلاله الشخصيات؛ وذلك لأنه الخيط الفاصل بين عالمين، عالم السر وعالم الجهر، حيث ينتهي عالم الناس السري عند البيوت والمنازل، ويبدأ عالمهم العلني حيث يبدأ الشارع (زنبير، ٢٠٠٩، ص ٤٦).

وقد جاء ذكر الشارع مرة واحدة منذ بداية الرواية حتى نهايتها، إذ ظهر الشارع بتفاصيله بعد الانتهاء من زيارة حديقة الأفيال وعدم توفر سيارة ترجعهم إلى البناسيون. يقول وليد في ذلك: "المفاجأة التي كانت تنتظرنا هناك، هي أن السائق لم يكن في انتظارنا كما كان اتفاننا معه، سألت عنه حراس الحديقة و بائعي التذاكر فلم يتعرفوا عليه، اتصلت به عدة مرات، لكنه لم يجب، وفي المرة الأخيرة أنهى المكالمة بدون رد، لم أكرث كثيراً في بادئ الأمر، فسيارات الأجرة تتواجد بكثرة هنا، لكن القلق بدأ يتسلسل إلى نفسي عندما اكتشفت بأنها محجوزة بالكامل" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٥٩). وبعد انتظار طويل للعثور على سيارة أجرة، فقد الأمل وبدأ المشي سيرا على الأقدام على أمل العثور على مساعدة من المارة. تقول نادين لوليد: "لا أخفي عليك يا وليد، أنا سعيدة جداً بهذا التغيير الطارئ على برنامجنا" (النعيمي، ٢٠١٤، ص ٦٠)، فأضفى قرار السير مشياً على الأقدام السعادة في نفس نادين التي دائماً ما كانت تبحث عنها.

فبعد أن بدأت لقاءاتهم البسيطة داخل البانسيون والمطاعم التابعة له، يخرج الاثنان إلى الشارع في العن شارع بعيد عن شوارع موطنهم، لا أحد يراقبهم، تحت المطر، وسماء ملبدة بالغيوم، على حافة الطريق، وشارع مزدوج الاتجاه، وأحاديث متبادلة ومتنوعة تكشف أكثر عن المكنون داخل شخصياتهم. فالشارع في هذه اللحظة هو الهروب من الواقع، والاتكاء على الأمل والغد، فالجملة التي نطقت بها نادين: "ما يحدث الآن مثل الحلم، فلم أتوقع لحظة أن ألتقي بشاب مثلك، وأقترب منه بهذه السرعة، وفي هذا المكان، وبهذا القدر" (النعمي، ٢٠١٤، ص ٦١)، فنادين تعيش الحلم الآن، على أمل أن يتحول إلى حقيقة، حتى تأتي جملة وليد التي تحول الحلم إلى سراب. يقول مجيباً على كلامها: "هو مثل الحلم فعلاً، ولا أدري إلى متى سيستمر؟" (النعمي، ٢٠١٤، ص ٦١). فنادين الآن منفصلة عن عالمها الذي تحاول تركه خلفها وتمشي قدماً، غير مكترثه بما سيحدث بعد انتهاء الرحلة، تمشي بجانب وليد علناً أمام أعين لا تعرفهم ولن تشعرهم بالخوف والارتباك، محاولة التحرر من همومها والمآسي التي تتقل قلبها وعقلها.

فأسهم الشارع هنا في تصوير لحظات الهدوء والانسجام بعيداً عن القلق، فحضور الشارع هنا بمثابة الهروب من الواقع المرير الذي تتمنى نادين أن لا تعود إليه، متمسكةً باللحظة التي لا تريد أن ترسم لها نهاية، تطلب مشروباً ساخناً من بقالة على الطريق، تحاول الاستمتاع بكل ما يمر بهم، كما مثل الشارع العلاج النفسي المؤقت الذي تحتاجه نادين للترويح عن نفسها، والابتعاد عن الأفكار التي تلاحقها، و آثار وجودهما في الشارع والمشي لمسافة طويلة أسئلة كثيرة تتم عن فكر كل منهما، مبتعدين بذلك عن الواقع ومحققين في فضاء وكأنه خلق لهم في هذه اللحظة.

خاتمة

نستطيع في خاتمة هذا البحث أن نقول إن النعمي وظّف المكان توظيفاً روائياً وواقعياً. فقد وظفه على أنه مكان حقيقي وواقعي، ولذلك تظهر مدينة "شيانغ ماي" بشوارعها وأسواقها وحدائقها ودروبها، وتصير مسرحاً للرواية بأحداثها ووقائعها.

والواقع أن تلك الأمكنة التي فصلنا فيها القول، وهي تأخذ أسماء حقيقية ومواقع جغرافية معروفة، أعطت مصداقية للحكاية المسرودة بشكل عام وللمكان بشكل خاص، كما أن اختيار "شيانغ ماي" لرسم أحداث الرواية كان موقفاً لطبيعة الأحداث والمواقف الحاضرة فيها، فالشخصيتان الرئيسيتان نادين ووليد قد مثلاً أحداثاً تحدث في الحياة اليومية، ولكنها تصبح أكثر صعوبة في المجتمعات العربية، فكانت شيانغ ماي الأنسب لاحتواء هذه الحكاية، فجد المكان والحدث أكثر واقعية بالنسبة للمتلقي، كما كان للمكان تأثير عميق في

نفسية الشخصيات، وهذا يتضح كلما تغير المكان من مكان مفتوح إلى مكان مغلق، وظهر تأثيره في ردود أفعالهم، وتغير عالمهم الداخلي.

المصادر والمراجع

١. باشلار، غاستون. (١٩٨٤). جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
٢. بحرأوي، حسن. (١٩٩٠). بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت.
٣. حبيبة، الشريف. (٢٠١٠). بنية الخطاب الروائي (دراسة في روايات نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديث، الأردن.
٤. زغرب، صبيحة. (٢٠٠٦). غسان كنفاني، جماليات الخطاب الروائي، ط(١). دار مجدلاوي، عمان.
٥. عثمان، بدري. (١٩٨٦). بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، ط (١). دار الحدائث للطباعة والنشر، بيروت.
٦. العلوي، صفاء إبراهيم، ١٩مايو ٢٠١٩، جماليات المكان في الرواية، صحيفة الوطن، <https://alwatannews.net>
٧. قاسم، سيزا. ١٩٨٢ المفارقة في القص العربي المعاصر: بحث منشور في مجلة فصول، القاهرة.
٨. قاسم، سيزا. ١٩٨٥ بناء الرواية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
٩. المحادين، عبدالحميد. ٢٠٠١ جدلية المكان والزمان والإنسان في الرواية الخليجية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
١٠. النابلسي، شاكراً. ١٩٩٠. مدراء الصحراء - دراسة في أدب عبدالرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
١١. النصير، ياسين. ١٩٨٦ إشكالية المكان في النص الأدبي، دار الشؤون العربية العامة، بغداد.
١٢. النصير، ياسين. ٢٠١٠، الرواية والمكان، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق.
١٣. النعيمي، عبدالله. ٢٠١٤ البانسيون، دار كتّاب للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة.
١٤. زنبير، أحمد. ٢٠٠٩، جماليات المكان في قصص إدريس الخوري، التنوخي للطباعة والنشر، الرباط.